خارج المدى

عنف الإرهاب

د. حسن ناظم

لا يلوح في الأفق حلّ نهائيّ لوقف عنف الإرهاب بالعراق، والصورة تتشح بالقتامة يوماً بعد يوم حتى بات المتفائلون والمتشائمون يغيّرون من قناعاتهم تحت وطأة ثقيلة يمارسها الإرهاب نفسه عليهم. ويوماً بعد يوم، وبفعل تناسل الإرهاب والإرهابيين تناسلاً رهيباً، حتى باتوا يحتلون مدناً كما في تلعفر، يميل الرأي إلى أن الذي يقنع المراهقين بدخول الجنة عبر تفجير أنفسهم بالأبرياء والآمنين من الناس هو وحده القادر على إقناعهم بدخول النار بتفجير أنفسهم بهم. وذلك أسوأ الحلول التي يمكن اللجوء إليها، فمن ذا الذي له القدرة العملية والنظرية على طرح الإرهاب بوصفه إشكالية ثقافية قبل أن يكون مشكلة إجرامية، ومن ذا يستطيع أن يثبّت التفاوض مع الإرهاب إجراء دبلوماسياً يجب الأخذ به من أجل حقن الدماء.

لا يبدو أن هذا الحلّ يقع في نطاق الممكن الآن، ولا في المستقبل القريب. أما الضحايا الذين تأخذ أعدادهم بالارتفاع، منذ مجزرة النجف والحلة والمسيب وكارثة جسر الأئمة، وما تلاها من اتساع نطاق التفجيرات التي حصدت أرواح العشرات من المدنيين، فلا تغير ثوابت التعامل مع الإرهاب مهما بدا أن الأخير لا يفرق بين بشر وشجر، وفي البشر بين أطفال وبالغين، نساء ورجال....

إن التعصب داء عقليّ مهما كان وكيفما كان، وأخطر أعراض هذا الداء قتل الآخرين بتصنيفهم أعداء يستحقون الموت بأبشع الطرق لا لشيء سوى لاختلافهم في المذهب مثلاً. والعنف الذي يهدر من جوف هذا الداء لا يمتثل إلى أية قيمة أخلاقية أو إنسانية عموماً ينطلق منها في تصنيف الآخر المختلف. فالآخر عدو لاختلافه، سواء أكان فرداً أم جماعة أم أمة كاملة، شعباً أم دولة أم مجموعة دول، ومن هنا يستوي لديّ الإرهاب تهديد الدول الأوربية مجتمعةً وتهديد الشيعة بالعراق، توعّد مسؤول في الحكومة العراقية أو الشرطة العراقية كلها. ذلك هو منطق الإرهاب أو لامنطقه. فهو يبحث عن خصومه، وإن أعجزوه بحث عن ضحايا متاحين في المطاعم والشوارع ليقتلهم قتلة جبان، ويرى في هذه الضحايا الضامن الوحيد لبلوغ مآربه، وهم سواء لديه، الخصوم والأبرياء، لأن عنف الإرهاب لم يدع مجالاً لطرح قضية الصراع الفكري طرحاً موضوعياً، وهذا الطابع الشرس من الإجرام تغلب عليه أولوية تضارب المصالح على تضارب الأفكار. ولا أدلّ على ذلك من استخدام الإرهاب أداةً طيّعة لتحقيق مآرب أبعد ما تكون عن مآرب الأصولية الدينية المتعصبة التي كانت حاضنتة الوحيدة، أما وقد وجد الإرهاب أحضاناً غيرها يفرّخ فيها بيوضه الفاسدة صار لزاماً عليه أن ينوّع خدماته.

تدور رحى عنف الإرهاب بفعل عوامل عدة، تجتمع كلها من أجل إدامة دوران هذه الرحى الطاحنة. عوامل هي مصالح، ويجري التنازع على تثبيت هذه المصالح بين أطراف ترى أنها خسرت كلّ نفوذها وسلطتها منذ سقوط دكتاتورية صدام، وأطراف صاعدة ترى أن لديها مشروعاً ديمقراطياً وطنياً جديداً تريد له أن يتحقق وأن يُمنح فرصة الاختبار رغم الظروف الصعبة، وما بينهما متسللون عرب حشتهم قوى إقليمية بالمتفجرات لإجهاض هذه التجربة التي ترى فيها تهديداً لديكتاتورياتها المطلقة. من هنا صار الإرهاب يفرّخ في كلّ مكان، في حواضنه المعلنة أو بعيداً عنها، بوحي من قادة أصوليين تكفيريين أو من قادة أنظمة علمانيين. ومن هنا أيضاً، صارت الشبكات الإرهابية تكتسي طابع المافيات الكبرى التي لا تبرير لجرائمها سوى رعاية المصالح بعبث جنونيّ ينمّ عن عصاب. ولذلك لا نجد غرابة في أن أنظمة سياسية اعتُبرت قديماً منبعاً للإرهاب صارت اليوم من أعدى أعدائه، وشرعت تعالج عنفه بشراسة مماثلة، وهي آخذة بيتره وتشذيب حواضنه ومقوماته أينما كانت، بل وبتعديل ما صحّ لديها من قوانين وأصول تمتد من القضاء ولا تنتهي عند حدود تشذيب المقررات الدراسية من نزعة تكفير الآخرين.

وعلى النقيض من ذلك، ترعى أنظمة سياسية أخرى لم تُعرف كمنبع للإرهاب، ولا كحاضنة له أو راعية قديماً، ترعاه الآن كأداة مؤثرة في صراعها السياسي على الوجود والمصير وتحقيق المصالح. وفي خضم ذلك تقدم تبريرات ميكافيللية لأداء سياسي ما عاد قادراً على مواجهة تحديات عالمية قاهرة ومطالب وطنية ملحّة في إرساء دعائم جديدة للحكم غير تلك التي رزحت تحتها لأماد طويلة.

ثمة أوضاع جديدة ستكسح الأوضاع القديمة بالتأكيد، تلك هي الحقيقة، والتاريخ يبلّغ العبرة كلّ حين، ومن يعتبر به هو الذي يعي ما يعتمل الآن في الشعوب العربية قاطبةً، ومن لا يعتبر به لا ينتظره غير مصير الطغاة الغابرين وآخرهم صدام حسين. هناك من بادر إلى التغيير على حياء، وها نحن نشهد تضاؤلاً في نسب فوز الرؤساء العرب بالانتخابات والاستفتاءات، إذ انخفضت النسبة المئوية إلى الثمانين بعد أن كانت تأبى غير المائة أو التسعة والتسعين في الأقل. تلك علامة أولى، هي في الحقيقة بشرى تعد بنقصان هذه النسبة في القريب العاجل. تلك هي سُنّة الحياة، الجديد يكسح القديم، وما ينفع الناس يزيح الزبد ليمكث بينهم.

تديّن ما بعد الدكتاتورية

يصرح العلامة الطباطبائي في تفسير " لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" ان الاية في مقام بيان "نفي الدين الاجباري ، لما ان الدين ، وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها اخرى عملية ، يجمعها انها اعتقادات ، والاعتقاد والايمان من الامور القلبية التي لا يحكم فيها الاكراه والاجبار ، فان الاكراه يؤثر في الاعمال الظاهرية ، والافعال والحركات البدنية المادية ، واما الاعتقاد القلبي فله علل واسباب اخرى قلبية ، من صنف الاعتقاد والادراك ، ومن المحال ان ينتج الجهل علماً ، او تولد المقدمات غير العلمية تصديقاً علمياً ، فقوله "لا اكراه في الدين" ان كان قضية اخبارية حاكية عن حال التكوين ، انتج حكماً دينياً بنفي الاكراه على الدين والاعتقاد ، وان كان حكماً انشائياً تشريعياً ، كما يشهد ما عقبه تعالى من قوله "قد تبين الرشد من الغي" كان نهياً عن الحمل على الاعتقاد والايمان كرهاً ، وهو نهي متكئ على حقيقة تكوينية ، وهي التي مر بيانها.

٢-٢

عبد الجبار الرفاعي

وذاتياً بماهية البشر، مما لا يمكن وضعه ولا رفعه". وهذا يعني ان المعتقد ما لم ينبثق الايمان به من قناعة وجدانية، وارادة قلبية، لا يمكن ان يلامس شغاف الفؤاد. وكل الانظمة الشمولية، التي تفرض نسقاً ايديولوجياً مغلقاً على مواطنيها، انما تعمل على تفشي ظاهرة النفاق، وهي تحسب انها دمجت كافة المواطنين في النسق الاعتقادي الذي اختارته لهم، ذلك ان المعتقد ليس بمثابة الثوب الذي يلبس ويخلع بسهولة. وفي مثل هذه البلاد تشيع عادة عقيدة ظاهرة، وهي ما تريده السلطة، بينما يخفي الافراد معتقداتهم، التي باتت واحدة من مكونات هويتهم الباطنية.

وفي آيات اخرى يتحدث القرآن ايضاً عن هذه المسألة، ويجليها بوضوح، كما في قوله تعالى: ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين". هنا اشارة إلى المشيئة الالهية التكوينية الحتمية، التي بموجبها يمكن ان يجعل الله جميع سكان الارض مؤمنين بالقسر، ولكنه تعالى انكر ذلك مستفهماً، بان مثل هذه الحالة لا تليق بالانسان، وكما انه سبحانه لم يلجأ لذلك، فهو ينبه النبي ان لا يحزن او يقلق، عندما لا يؤمن بعض الناس، لأن المورد خارج اطار الاكراه. وان الايمان موكول للانسان، فبوسعه اختيار ما ترسو عليه قناعاته، وما يرتضيه قلبه، وما يستسيغه عقله.

وفي مجموعة آيات يتحدث القرآن عن حرية كل فرد في اختيار السبيل الذي ينشده في الدنيا، كما في قوله تعالى: "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين ناراً". تقرر الآية بصراحة ان الايمان والكفر يرتبطان باختيار الانسان وارادته، من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولا تشير إلى عقاب، او توبيخ، او تحقير واهانة، دنيوية، بل تقتصر على الاشارة إلى الاستحقاق الاخروي للظالمين المعاندين.

وهكذا الآية "قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل". والآية "انا انزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل".

وبالرغم من ان القرآن لا يساوي بين الهدى والضلال، لكنه يمنح الإنسان حرية في الاختيار ولا يلازمه بأحدهما خاصة، لأن المعاد يترتب على هذه الحرية، وليست هناك مسؤولية وحساب مع سلب الاختيار في الدنيا.

وفي طائفة غيرها من الآيات يحدد القرآن نمط دعوة الرسول الآخرين الى الدين، فيصفه بأنه (مذكر، ومبشر، وشاهد، وسراج منير، ورحمة للعالمين، وما عليه الا البلاغ، وليس بمسيطر، وليس بجبار...).

"فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر".

"نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد".

"وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً. قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا. وتوكل على الحي الذي لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً".

"وان ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب".

"ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون".

"وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيراً".

"وما أرسلناك الا رحمة للعالمين".

"يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً".

"وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً".

"انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً".

"فان اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً".

"انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً".

إذن وظيفة النبي تتلخص في التذكير بالبينات والهدى، وابلاغ الحق، والشهادة، والتبشير بالنعيم، والانذار بالخسران، في حالة الجحود والعناد، وانه سراج يضيء الطريق، ورحمة للعالمين، وبموازاة ذلك ينبهه الله الى انه ليس له سلطان في اكره الناس على الايمان، فهو "ليس بمسيطر، ولا جبار رحمة للعالمين". فاذا كان النبي (ص) وهو صاحب الرسالة، لم يفوض في اجبار الناس واكراههم، فكيف يفوض غيره بذلك؟! وان كان ذلك من وظائف النبي، فكيف يسوغ لاتباعه سلب حرية الناس، ومصادرة حقهم في اختيار المعتقد؟!

وكذلك ينفرد القرآن الكريم من بين الكتب المقدسة في الاديان، في ان سوره تبدأ بـ(البسملة) والتي تحتسب آية من السورة، حسبما ذهب جماعة من المفسرين والفقهاء، وتشتمل البسملة على صياغة بليغة لبيان مفهوم الرحمة، أو هي تكثيف دلالي لمنطق الحرمة الذي يسود الكتاب. ويرى بعض المفسرين كل بسملة هي آية، لها معنى معين، يخص كل سورة تتصدرها، أي انها آية تختص بتلك السورة، ومعناها يتنوع بتنوع السور، وغرضها لا يخرج عن غرض السورة وما يتحصل من غاياتها.

وبعبارة اخرى ان افتتاح كل سورة بالبسملة يعني ان الرحمة المشبعة بالبسملة حاكمة ومهيمنة على مضمون السورة واغراضها، فان كان المضمون اخلاقياً ينبغي ان يكون متقوماً بالرحمة، وهكذا لو كان المضمون عقائدياً أو غيره. فتقديم نص كل سورة بما تشتمل عليه البسملة من رحمة، يشي بان كافة المضامين المسوقة في آيات القرآن تتأطر بمضمون البسملة وهي بمثابة البوصلة التي تحدد وجهتها، وتصوغ الفضاء الروحي القيمي للسورة وللقرآن بمجموعه.

لقد لاحظت ان كلمة"الرحمة" ومشتقاتها تكررت في القرآن أكثر من ٣٣٠ مرة ما خلا ما ورد من تكرار البسملة في السور ١١٤ مرة، وبناء على القول بأن البسملة آية من كل سورة وورود "الرحمن الرحيم" في كل بسملة، يفوق عدد مرات ذكر الرحمة ومشتقاتها في القرآن ٥٥٠ مرة. وهي ظاهرة دلالية تستحق العناية والتدبر، حتى وصف القرآن الكريم النبي محمداً (ص) بانه رحمة، وذكر بصراحة ان هذه الرحمة عامة، لا تختص بفرقة أو جماعة وانما هي شاملة لكل العالمين "وما أرسلناك الا رحمة للعالمين".

ومما لا ريب فيه انه حيثما كانت الرحمة فلا كراهية ولا اكراه ، ذلك ان الكراهية من لوازم العدوان والنقمة، بينما الرفق والعطف والرأفة والعدل والاحسان من لوازم الرحمة، فاذا كانت الرحمة وتوابعها تستوعب هذه المساحة من القرآن، لماذا يتغافل عنها أولئك الذين يختصرون الاسلام بالقتل والموت، وينصبون أنفسهم ناطقين باسم الله في الأرض، من دون ان يتدبروا آيات الله ويفقهوا كتابه، كتاب المحبة والرحمة؟!

الخروف المنشق

عواد ناصر

أبدأ، رأسا، بالمرأةِ.. أعني من أحببتُ
منذ اختلطَ النصُّ بوسواس الراسْ
نزلتْ صاعقة فانشقت أوراقي
وانشقَّ البصر الكهلُ
وانشقت هذي الأرضُ
(لكم إمبرياليّ هذا العقلُ)
حتى شاي الحراسْ
مرّاً كانَ:
أتعرف تلك المرأة أم لا تعرفُ
ان جنون الشاعر أكبر من حب امرأةٍ ورسائل SMS
أو تعرف أيا منا الأيأس؟
إن العالمَ، كالأحزابِ، يضيقُ بمنشقٍّ مثلي أو مثلكْ
حسناً، ها أنذا أركضُ ما بين النهدين وأرياض
الفخذين، بكل قواي ،
ألآ تعترفين ؟
حسناً، ثانية، ها أنذا أعترفُ :
ياناسْ ،
إني محضُ خروف يركض مذعوراً
حيث ترن ملايين الأجراسْ !

الشارقة ١٢ سبتمبر ٢٠٠٥

أحمد مختار يعزف (لاجلك ياعراق) في بيروت

لندن / المدى الثقافي

بعد النجاح الذي حققه عازف العود المنفرد والمؤلف الموسيقي أحمد مختار في امسياته الاخير خلال الصيف في بلدان عربية و اجنبية منها الجزائر وتونس وبولندا و ابوظبي، ولاسيما امسية (ليلة في بغداد) في لندن التي كان ريعها لمصلحة ضحايا التفجيرات وضحايا الأرهاب في العراق، يستعد مختار لتقديم امسية بعنوان (في المقام) ضمن تظاهرة ثقافية سيشترك فيها الكثير من الفنانين العراقيين والعرب في بيروت تحت عنوان (لاجلك ياعراق) سيقدم مختار خلالها اعماله الموسيقية شرح من خلالها معاناة شعبه وعمق ثقافته، هذا الشعب الذي لا يستحق كل هذا الدمار والقتل الذي دام منذ أكثر من خمسة و ثلاثين عاماً الى اليوم وسكت عنه الكثير من المثقفين والفنانين، وذلك ما ذكره احد الشعراء الانجليز الذي حضر امسية مختار الاخيرة في لندن الى مجلة () (The musicianالموسيقي) التي نشرت حواراً مطولاً لمختار تحدث فيه عن الكثير من القضايا في الموسيقى العربية و العراقية وقال عن المصاعب التي يواجهها ، (انني محارب من أزلام النظام العراقي في الخارج لأنني اذكر الحقيقة دائماً و ادين جرائم القتل و الارهاب بغض النظر عن من يرتكبها اما هم فيركزون على تلك التي لا تدين الإرهاب او النظام فقط ، و لن يثني عزيمتي ذلك مادمت اقوم بواجبي الانساني).

يذكر ان مختار قد اصدر مؤخراً اسطوانة جديدة بعنوان (الطريق الى بغداد) من أنتاج شركة اي ار سي العالمية، تضمنت ١٦ قطعة موسيقية من مؤلفاته منها ،أمومة التي أهداها الى مارغريت حسن، ورقصة كردية، والطريق الى بغداد، وطفولة، وقد تم التسجيل في ستوديوهات دبي و لندن.

احمد مختار

كلية الفنون الجميلة تقيم مهرجاناً مسرحياً استذكارياً للفنان الراحل طالب جبار

البصرة / المدى الثقافي

تقيم كلية الفنون الجميلة بجامعة البصرة خلال الموسم الدراسي الجديد مهرجانا مسرحيا باسم الفنان الراحل طالب جبار. وقال الدكتور عبد الستار عبد ثابت البيضاني، عميد الكلية ان اقامة هذا المهرجان يأتي تكريماً لعطاء الفنان الراحل طالب جبار الذي قدم خلال مسيرته الفنية منجزاً ابداعياً في مجال الفنون المسرحية الشعبية .

واضاف: لقد اعطى الفنان الراحل مدينته كل طاقته الابداعية الخلاقة. وتكريماً لمسيرته الفنية فان المهرجان الذي نقيمه سيكون باسم الراحل ويشارك فيه طلبة المرحلة الرابعة حيث يقدمون اعمالهم المسرحية كمادة اخراجية مكملة لمسيرتهم الدراسية وهي فرصة كبيرة لاظهار طاقات هؤلاء الطلبة الاخراجية . مشيراً الى ان الكلية اقامت العام الماضي مهرجاناً مسرحياً مماثلاً تكريماً للمؤلف المسرحي الراحل جبار صبري العطية. اعتزازاً بعطاء الفنان في التأليف المسرحي والاخراج، وقد جعلنا من اقامة هذه المهرجانات المسرحية السنوية تكريماً سنوياً لمبدع بصري في مجال المسرح وفنونه المختلفة..